تدبُّر
الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم
الدّوحة– قطَر

تدبّرُ القرآنِ الكريمِ

وسائلُه وموانعُه

د. عبد الله إبراهيم المغلاج

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم، على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فإن الله –تعالى– أنزل خاتم كتبه على خاتم رسله ﷺ، «أنْزلَهُ لِنقرأَهُ تَدَبُّرًا، ونتأمَّلَه تبَصُّرًا، ونَسْعَدَ به تذَكُّرًا، ونَحمِلَه على أَحْسن وُجوهه ومَعانيه، ونُصدِّقَ به ونجْتهدَ على إقامَة أوامره ونواهيهِ، ونَجْتني ثِمارَ علومهِ النّافعة المُوصِلةِ إلى اللَّه سبحانَه»⁽¹⁾، وقد وصل به أقوام إلى رضى ربّهم، وكان سببًا في تغيير حياتهم، وعلى رأس أولئك الصّحابة الكرام، الّذين تلَوه حقّ تلاوته؛ فنقلوه إلى ميادين التّطبيق العمليّ والسّلوك، وتعامَلوا معه على أنّه رسائلُ من ربّهم، فأسهروا به ليلهم، وجعلوه منهاج حياتهم، فكانوا خير أمّة أُخرجتْ للنّاس، ورضي الله عنهم ورضوا عنه. وهذا ما أخبر به الحسن بن عليّ ﷺ مخاطباً من حوله: " إنّكم اتّخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم اللّيل جَمَلاً، فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإنّ من كان قبلكم رأوه رسائل من ربّهم، فكانوا يتدبّرونها باللّيل، وينفّذونها بالنّهار " ⁽²⁾.

وقد دعا الله العباد إلى تدبّر القرآن على امتداد الزّمان، وجعل التّدبّر مقصودًا بإنزال هذا الكتاب المبارك، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]، وأنكر على من أقفل قلبه عن تدبّره فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمّد: ٢٤]. وسجّل شِكاية النّبيّ ﷺ إلى ربّه من هجران قومه للقرآن، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]. وهجْر القرآن على صوَر متنوّعة، منها ما وقع من الكفار، ومنها ما وقع من المؤمنين، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره من ذلك «أنَّ المُشركينَ كانوا لا يُصغون للقُرآنِ ولا يَسْمَعونه، وكانوا إذا تُلِيَ عليْهمُ القُرآنُ أكثَروا اللَّغط والكلام في غيْره حتّى لا يَسمعوه؛ فهذا من هجْرانِه، وتَرْكُ عِلْمه وحِفْظه أيْضًا من هجْرانِه، وتَرْكُ الإيمانِ به وتَصْديقِه من هجْرانِه، وتَرْكُ تَدَبُّره وتَفهُّمِه من هجْرانِه، وتَرْكُ العَمَلِ به وامتثالِ أوامرِه واجْتنابِ زواجره من هجْرانِه، والعدولُ عنه إلى غيْره –من شِعْرٍ أوْ قوْلٍ أو غِناء أوْ لَهْوٍ أوْ كلامٍ أو طَريقةٍ مأخوذةٍ من غيْره – من هجْرانِه»⁽³⁾.

---

(١) مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، ابن قيّم الجوْزيّة ١/ ٢٧.

(٢) إحياء علوم الدّين للغزاليّ ١/ ٢٧٥.وانظر: التّبيان في آداب حملة القرآن للنّوويّ ص: ٥٤، وفيه: (ويتفقّدونها) بدلًا من (وينفّذونها).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٠٨.

كما أن النّبيّ ﷺ دعا بحاله ومقاله إلى التّدبّر، فقد أخبرت السّيّدةُ عائشةُ -رضي الله عنها - مَن سألها بأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَتْه مِنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، قالَتْ: لَمّا كانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالي، قالَ: ((**يا عائِشَةُ ذَريني أَتعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِربّي**)) قُلْتُ: واللَّهِ إنّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وأُحِبُّ ما سَرَّكَ، قالَتْ: فَقامَ فَتطَهَّرَ، ثُمَّ قامَ يُصَلّي، قالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكي حَتّى بَلَّ حِجْرَهُ، قالَتْ: ثُمَّ بَكى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكي حَتّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قالَتْ: ثُمَّ بَكى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكي حَتّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصَّلاةِ، فَلَمّا رَآهُ يَبْكي، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ وَما تَأَخَّرَ؟، قالَ: ((**أَفَلا أَكونُ عَبْدًا شَكورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾**)) الآيَةَ كُلَّها [آل عمران: ١٩٠- ٢٠٠] (١). قيل للأَوْزاعيِّ: ما غايةُ التّفكر فيهنّ؟ قال: يقرأهنّ وهُوَ يَعْقِلُهُنَّ(٢).

وهذا التّدبّر المأمور به والمحذّر من تعطيله، له وسائله الموصلة إليه، وموانعه الصّارفة عنه، وفي هذا البحث عرض لأهمّ هذه الوسائل والموانع، بعد بيان معنى التّدبّر وأهمّيّته وآثاره وثمرته، راجيًا مولاي أن يأخذ بيدي ويد من يطّلع عليه إلى طريق التّدبّر، وقد جعلته على هذه المقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأوّل: مفهوم التّدبّر وأهمّيّته وآثاره وثمرته.

المبحث الثّاني: الوسائل الموصلة إلى التّدبّر.

المبحث الثّالث: الموانع الصّارفة عن التّدبّر.

خاتمة.

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

الإمارات العربية المتحدة
١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

د. عبدالله إبراهيم المغلاج

---

(١) صحيح ابن حبّان ٢/ ٣٨٦ (٦٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٩٠.

المبحث الأوّل

مفهومُ التّدبّر وأهمّيّتُه وآثارُه وثمرته

أ- مفهوم التّدبّر:

التّدبّر لغة: مأخوذ من الجذر اللّغويّ (د ب ر)، وأصله آخِرُ الشّيء وخَلْفُه(١). والدُّبُر والدُّبْر: خلاف القُبُل، ودُبُرُ كلّ شيء: عَقِبُه ومُؤخّرُه، وجمعهما أدْبار(٢). ودابِرُ الشّيء: آخره، وقطع الله دابِرَهم أي: آخِرَ مَن بقي منهم، وفي التّنزيل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٥] أَي: اسْتُؤْصل آخِرُهم(٣). وفي الكتاب العزيز: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]. أي ألم يَتَفَهَّموا ما خوطبوا به في القرآن، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النّساء: ٨٢]. أي أفلا يتفكّرون فيَعتبِروا؛ فالتَّدبُّر هو التَّفَكُّر والتَّفَهُّم(٤).

ومدار التّدبّر في أصله اللّغويّ لم يخرج عن النّظر والتّفكر في آخر الأمور وعواقبها. قال الزّمخشريّ (ت: ٥٣٨ هـ): " تدبُّر الأمرِ: تأمُّلُه والنّظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كلّ تأمّل؛ فمعنى تدبّر القرآن: تأمّل معانيه وتبصّر ما فيه "(٥).

واصطلاحًا: هو التّفكّر الشّامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة(٦). فهو نشاط ذهنيّ يهدف للوصول إلى أواخر دلالات النّصوص القرآنيّة ومراميها ومقاصدها(٧).

ومن الألفاظ المقاربة في معناها للتّدبّر، وتطلق عليه أحيانًا، مع مراعاة الفروق اللّغوية والسّياق: الاعتبار، الاستبصار، التّفكّر، التّفهّم، التّذكّر، النّظر، التّأمّل، التّفقّه، القلب، الحرْث، التّثوير ...(٨).

ورود التّدبّر في القرآن الكريم:

---

(١) معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس بن زكريّا ٣٢٤/٢، باب الدّال والباء وما يثلّثهما.

(٢) انظر: كتاب العين للخليل ٣١/٨، باب الدال والراء والباء معهما (دبر). ولسان العرب، ابن منظور ٢٦٨/٤، (دبر).

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٢٦٨/٤، (دبر).

(٤) تاج العروس، الزَّبيديّ ١١/ ٢٦٦، (دبر).

(٥) الكشّاف، الزّمخشريّ ٥٤٠/١.

(٦) قواعد التّدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ، عبد الرّحمن حسن حبنّكة الميدانيّ، ص: ١٠.

(٧) تدبّر القرآن بين النّظريّة والتّطبيق، د. رقيّة طه جابر العلوانيّ، ص: ١٠.

(٨) انظر: لسان العرب ٦٨٥/١ (قلب)، ١٣٤/٢ (حرث)، ٥٢٩/٤ (عبر)،... والفروق اللّغوية لأبي هلال العسكريّ، ص: ٥٨، ٦٤، ٦٩، ١٥٧-١٥٨. والتّعريفات للجرجانيّ، ص: ٧٦. ومفتاح دار السّعادة لابن القيّم ١٨٢/١.

ورد التّدبّر في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

١. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النّساء: ٨٢].

٢. ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

٣. ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

٤. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمّد: ٢٤].

وجاء بصيغة الفعل المضارع الدّالّ على الاستمرار والتّجدّد، وعلى وزن التفعّل الّذي يفيد تكرّر العمل؛ فيكون تدبّر الكلام: «النّظر في أوّله وآخره، ثم إعادة النّظر مرّة بعد مرّة »(١).

واستُعمِل فعل ﴿يَتَدَبَّرُونَ ﴾ مرّتين وفعل (يَدَّبَّروا) مرّتين. و(يدّبروا) أصلها (يتدبّروا) لكن التّاء سُكّنت فالتقت مع الدّال فأُدغمت فيها لاتحاد المخرج فصارت (يدّبّروا).

ومن لطائف هذا الاستعمال أنّه جاء بالفعل ﴿يَتَدَبَّرُونَ ﴾ بالنّون (كاملًا على الرّفع، مع ذكر لفظ ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ كاملًا، فناسب مجيء الفعل كاملًا مع ذكر القرآن كاملًا، وسياق الخطاب للمنافقين، فهم بحاجة إلى تدبّر القرآن الّذي سمعوه كاملًا، آية عقب آية.

وفي الاستعمال الثّاني ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ﴾، ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ﴾ بحذف النّون على الجزم في الأوّل والنّصب في الثّاني، مع ذكر ﴿ ٱلْقَوْلَ ﴾، ﴿ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ وهي بعض القرآن، ولم يذكر ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ كما في الاستعمال الأوّل، وسياق الخطاب للكافرين في الفعل الأوّل، فهم يكفيهم أقلّ تدبّر لقول من القرآن، أمّا الخطاب في الفعل الثّاني فهو يعود إلى ما سبقه من ذكر المتّقين والفجّار، وهم كذلك يكفيهم تدبّر آيات من هذا القرآن، لكنّ التّذكّر الحقيقيّ يكون للمتّقين أولي الألباب.

كما أنّ مجيء الصّيغة بالتّشديد (التّضعيف) ليبيّن شدّة المطالبة بتدبّر بعض هذا القرآن ليحصل الإيمان واليقين(٢).

ب- أهمية التّدبّر:

أنزل الله القرآن عربيًّا وأمر بقراءته وبتدبّره، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، فجعله عربيًّا بيّنًا ؛ ليحصل لنا العقل والاهتداء بفهمه وتدبّره، قال عليّ (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه : " ألا أُنَبِّئُكُم بالفَقيهِ حقِّ الفَقيهِ؛ مَنْ لَمْ يُقَنِّط النّاسَ منْ رحمةِ اللّهِ، ولَمْ يُرَخِّصْ لهم في مَعْصية اللّه،

---

(١) انظر: مفتاح دار السّعادة، ابن قيّم الجوزيّة ١/١٨٣.

(٢) هذه اللّطيفة مأخوذة – بتصرّف – من برنامج تلفزيونيّ للأستاذ الدّكتور حسام سعيد النّعيميّ في قناة الشّارقة الفضائيّة.

ولَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مكْرَ اللَّهِ، ولَمْ يَتْرُكِ القُرْآنَ إلى غيْره، ألا لَا خَيْرَ في عبادَةٍ ليْس فيها تَفَقُّهٌ، ولا خَيْرَ في فِقْهٍ ليْس فيهِ تَفَهُّمٌ، ولا خَيْرَ في قِراءةٍ ليْس فيها تَدَبُّرٌ "(١). والمقصود من قراءة القرآن الكريم هو التّدبّر، قال النّوويّ (ت: ٦٧٦ هـ): " اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكارِ، والمطلوبُ القراءة بالتّدبّر "(٢)؛ لذلك سُنّ فيها التّرتيل وبه قوام اللّفظ الظّاهر، ليمكن من تدبّر المعنى الباطن .

وقال السّيوطيّ (ت: ٩١١ هـ): " وتُسَنّ القراءة بالتّدبّر والتّفهّم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ، وبه تنشرح الصّدور وتستنير القلوب "(٣).

بل التّدبّر أحد المقاصد والغايات من إنزال القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

وهذا أمْرٌ بالتّدبّر يُحمل على الوجوب وهو نصّ في بيان علّة الإنزال، وكما أمر بتدبّر القرآن وتفهّمه نهى عن الإعراض عنه فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمّد: ٢٤]، أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مُطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه(٤). ومساق الاستفهام الإنكاريّ هنا يشير بطريقة غير مباشرة بأنّ مآل من لا يتدبّر إلى الختم على قلبه. وتلا رسول الله ﷺ يومًا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ فقال شابّ من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتّى يكون الله – تعالى– يفتحها أو يفرّجها. فما زال الشّابّ في نفس عمر ﵁ حتّى ولي فاستعان به(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ ﴾ أي صَمَم عن سماع القرآن ﴿ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ لأنّهم لا يفهمون، وقيل المعنى: والوَقْر عليهم عمى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصّلت: ٤٤] يقال ذلك لمن لا يفهم من التّمثيل، وحكى أهل اللّغة أنّه يقال للّذي يفهم: أنت تسمع من قريب. ويقال للّذي لا يفهم: أنت تنادى من بعيد.

وقيل: أي من لم يتدبّر القرآن صار كالأعمى الأصمّ، فهو ينادى من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي عنه وهو لم يسمع. وقال عليّ ﵁ ومجاهد (ت: ١٠٤ هـ): أي بعيد من قلوبهم(٦).

كما ذمّ الّذين لا يعلمون الكتاب إلّا أمانيّ، وهو متناوِل لمن ترك تدبّر القرآن ولم يعلم إلا مجرّد تلاوة حروفه... (١). فكما تعبّد الله النّاس بالتّلاوة تعبّدهم بالفهم والتّدبّر.

---

(١) مختصر قيام اللّيل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمرْوَزيّ، ص: ١٤٨.

(٢) الأذكار للنّوويّ، ص: ٩٥.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٦٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣٢٠.

(٥) أخرجه الطّبريّ في تفسيره عن عروة بن الزبير ٢١/ ٢١٧.

(٦) تفسير القرطبي ١٥/٣٧٠.

التّدبّر بين الآيات المتلوّة والآيات المشاهدة:

والتّدبّر لا يتوقّف على تلاوة القرآن الكريم، فالله –سبحانه– أمر عباده أن يتدبّروا آياته المتلوّة المسموعة، والمرئيّة المشهودة في صفحة الكون بما تكون تذكرة وعبرة (٢): ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، والقلب هو العقل في قول الفرّاء (ت: ٢٠٧هـ). وقال غيره: " لمن كان له قلب أي: تَفَهُّمٌ وتَدَبُّر " (٣).

فالتّدبّر الأوّل تفكّر في الدّليل القرآنيّ، والتّدبّر الثّاني تفكّر في الدّليل العيانيّ؛ الأوّل كلامه والثّاني خلْقه، ولا تعارض بينهما، بل بينهما انسجام تامّ يؤدّي إلى غاية التّفكّر والتّدبّر، «ولهذا أنزل الله القرآن ليُتدبّر ويُتفكّر فيه ويُعمل به ، لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه، قال الحسن البصريّ: أُنزل القرآن ليُعملَ به فاتخذوا تلاوته عملًا» (٤).

ج– من آثار التّدبّر:

١– مزيد العلم والإيمان:

في تدبّر القرآن وتفهّمه من مزيد العلم والإيمان مالا يحيط به بيان(٥). قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التّوبة: ١٢٤].

٢– حصول اليقين:

يحصل اليقين بثلاثة أشياء؛ أحدها: تدبّر القرآن، والثّاني: تدبّر الآيات التي يحْدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبيّن أنّه حقّ، والثّالث: العمل بموجب العلم: قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصّلت: ٥٣]، والضمير عائد على القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ

---

(١) درء تعارض العقل والنّقل، ابن تيميّة ٤٢/١. وذمّهم في الآية ٧٨ من سورة البقرة: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

(٢) انظر: مفتاح دار السّعادة، ابن قيّم الجوْزيّة ١٦٩/١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٦٨٥/١، (قلب).

(٤) مفتاح دار السّعادة، ابن قيّم الجوْزيّة ١٨٧/١.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيميّة ٨١/١٠.

أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٢-٥٣] الآية(١).

٣- السّجود والبكاء من خشية الله، وزيادة الخشوع:

قال تعالى في بيان حال الّذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزول القرآن من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

٤- القشعريرة خوفًا من الله -تعالى- ثم غلبة الرّجاء والسّكينة:

قال تعالى واصفًا أهل خشيته: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. والقشعريرة: تغيّرٌ يحْدث في جلد الإنسان عند الوَجَل والخوف. فإذا ذُكرت آيات العذاب اقشعرّت جلود الخائفين الله -تعالى-، وإذا ذُكرت آيات الرّحمة لانت جلودهم وقلوبهم واطمأنّت وسكنت إلى ذكر الله(٢).

٥- حياة القلب:

حياة السّعادة الحقيقيّة هي حياة القلب، وحياة القلب بالتّدبّر، قالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَاشْغَلُوها بِالْقُرْآنِ، وَلا تَشْغَلوها بِغَيْرِهِ»(٣)، وقد كان نزول القرآن أولًا على القلب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

قال ابن القيّم: " جعل الله سبحانه لكلّ مطلوب مفتاحًا يفتح به، وجعل مفتاح حياة القلب تدبّر القرآن والتّضرّع بالأسحار وترك الذّنوب "(٤).

وقال أيضًا: " وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتّدبّر والتفكّر، فإنّه جامع لجميع منازل السّائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين ... وسائر الأحوال الّتي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصّفات والأفعال المذمومة والّتي بها فساد القلب وهلاكه. فلو علم النّاس ما في قراءة القرآن بالتّدبّر لاشتغلوا بها عن كلّ ما سواها، فإذا قرأه بتفكّر حتّى مرّ بآية وهو محتاج إليها في

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيميّة ٣/٣٣٠-٣٣١.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن للواحديّ ٣/ ٥٧٨.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٦ (٣٠٠١١). جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ ١/ ٢٨٣ (٣٥٨).

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيّم الجوزيّة، ص: ٦٩.

شفاء قلبه كرّرها ولو مائة مرّة ولو ليلة؛ فقراءة آية بتفكّر وتفهّم خير من قراءة ختمة بغير تدبّر وتفهّم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن "(١).

٦- من أسباب محبّة الله -تعالى-:

وهو من الأسباب الجالبة لمحبّة الله -تعالى- والموجبة لها، وقد عدّ ابن القيّم (ت: ٧٥١ هـ) عشرة أسباب جالبة لمحبّة الله -تعالى- وموجبة لها، وجعل أوّلها: قراءة القرآن بالتّدبّر والتفهّم لمعانيه وما أريد به(٢).

كما عدّ آثارًا أخرى فقال مبيّنًا لها: " ليس شيء أنفعَ للعبد في معاشه ومعاده، وأقربَ إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالةِ التّأمّل فيه، وجمْعِ الفِكر على معاني آياته، فإنّها تُطْلع العبد على معالم الخير والشّرّ بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآلِ أهلهما، وتَتُلُّ في يده مفاتيحَ كنوزِ السّعادة والعلومِ النّافعة، وتُثَبِّتُ قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانَه وتوطّد أركانَه، وتُريه صورةَ الدنيا والآخرةِ والجنّة والنّار في قلبه، وتُحضِرُه بين الأمم، وتُريه أيّامَ الله فيهم، وتُبصّره مواقعَ العِبَر، وتُشهِده عدْلَ الله وفضلَه، وتُعرّفه ذاتَه، وأسماءه وصفاتِه وأفعالَه، وما يحبّه وما يُبغضه، وصراطَه الموصلَ إليه، وما لسالكيه بعدَ الوصول والقدوم عليه، وقواطعَ الطريق وآفاتِها، وتعرّفه النفسَ وصفاتِها، ومفسداتِ الأعمالِ ومُصَحّحاتِها وتعرّفه طريقَ أهل الجنّة وأهلِ النّار وأعمالَهم، وأحوالَهم وسيماهم، ومراتبَ أهل السّعادة وأهلِ الشّقاوة، وأقسامَ الخلق واجتماعَهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقَهم فيما يفترقون فيه "(٣).

ج- ثمرة التدبر:

لعلّ الثّمرة المرجوّة من وراء التّدبّر هو تحويل الآيات المتلوّة إلى عمل وتطبيق؛ لتتحقق السعادة الحقيقيّة من هذه التلاوة التّدبريّة، وهذا ما كان عليه السّلف الصّالح؛ ففي قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة: ١٢١] قالَ: سَعيدٌ عن قَتادَةَ: «هُمْ أَصْحابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ». أما تلاوتهم للقرآن حقَّ تلاوته فهي التّلاوة العمليّة، أي: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّباعِهِ؛ فعَنْ «عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قالَ: إذا مَرَّ بِذِكْرِ الجَنَّةِ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وإذا مَرَّ بِذِكْرِ النّارِ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ النّارِ. وَقالَ ابْنُ مَسْعودٍ: والّذي نَفْسي بِيَدِهِ، إنَّ حَقَّ تِلاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ حَلالَهُ وَيُحَرِّمَ حرامَهُ وَيَقْرَأَهُ كَما أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَلا يُحَرِّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ، وَلا يَتَأَوَّلَ مِنْهُ شَيْئًا على غَيْرِ تَأْوِيلِهِ. ونحوه عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ. وعَنِ ابْنِ

---

(١) مفتاح دار السّعادة، ابن قيّم الجوْزيّة ١/١٨٧.

(٢) مدارج السّالكين، ابن قيّم الجوْزيّة ٣/١٨.

(٣) مدارج السّالكين ١/ ٤٥٠.

عَبّـاسٍ أيضًـا في قَوْلِـهِ: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قـالَ: يَتَّبِعُونَـهُ حَـقَّ اتِّباعِـهِ، ثُمَّ قَـرَأَ: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشَّمْس: ٢]، يَقولُ: اتَّبَعَها. ونَحْو ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم أجمعين»⁽¹⁾.

وعلى هذا جاء منهج التعلّم والتّعليم عند الصّحابة الكرام ﵃ ، فكانوا يتلقّون الخمس آيات والعشر آيات علمًا وعملًا؛ فيما رواه ابنُ مسْعودٍ ﵁ قال: «كانَ الرَّجُلُ مِنّا إذا تَعَلَّمَ عَشْرَ آياتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يعْرِفَ مَعانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ». وقال أبو عبد الرحمن السّلمي (ت: ٧٤ هـ) قال: «حَدَّثَنا الَّذينَ، كانوا يُقْرِئونَنا أَنَّهُمْ كانوا يُسْتَقْرَؤونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكانوا إذا تَعَلَّموا عَشْرَ آياتٍ لَمْ يُخْلِفُوها حَتَّى يَعْمَلوا بِما فيها مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَميعًا»⁽²⁾. وروى مالِكٌ أَنَّه بَلَغَهُ أَنَّ عبدَ الله بْنَ عُمَرَ، مَكَثَ عَلى سُورَةِ البَقَرَةِ، ثَمانِيَ سِنينَ يَتَعَلَّمُهَا ⁽³⁾. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت: ٨٣ هـ): «دخلتْ عليّ امرأةٌ وأنا أقرأ (سورة هود) فقالتْ: يا عبد الرحمن، هكذا تقرأ سورة هود! والله إنّي فيها منذ ستة أشهر وما فرَغتُ من قراءتها»⁽٤⁾. وقد أنكر الحسن البصريّ –رحمه الله– على من يقرأ القرآن ولا يظهر أثر القرآن على سلوكه وتعامله، فقال: « والله ما تدبّرُه بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتّى إنّ أحدَهم ليقول قرأت القرآن كلّه، ما يُرى له القرآن في خُلُق ولا عَمَل»⁽٥⁾.

* * *

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٠٣- ٤٠٤.

(٢) تفسير الطّبريّ ١/ ٧٤.

(٣) الموطّأ، مالك بن أنس ٢/ ٢٨٧ (٦٩٥).

(٤) شعب الإيمان للبيْهقيّ ٣/ ٤٠٨ (١٨٨٧). وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوْزيّة ١/ ٣٢٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٦٤. وقال: رواهُ ابنُ أَبِي حاتِم.

المبحث الثّاني

وسائل تدبّر القرآن الكريم

الوسائل: مفردها وسيلة، والوَسيلة: القُرْبة. وهي ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغَيْر، والجَمْعُ الوُسُلُ والوَسائِلُ. ووَسَّلَ فلانٌ إلى اللّه وَسيلَةً، وتَوَسَّلَ إليه بوَسيلَةٍ إذا تقرَّب إليه بعَمَل. والوَسيلَةُ: الوُصْلة والقُرْبى، وهي في الأصل ما يُتَوَصَّل به إلى الشَّيْء ويُتَقَرَّب به(١).

ويُقال: توسَّل فلانٌ إلى فلان بوَسيلة، أي: تَسَبَّبَ إلَيْه بسَبَب، وتقرّبَ إلَيْه بحُرمةِ آصِرةٍ تَعطِفه عَلَيه(٢).

فالوسيلة إذن هي: السّبب الموصِل إلى المقصود، أو الـمُعين على ذلك. ووسائل التّدبّر: هي الأسباب أو الطّرق التي يُستعان بها للوصول إلى التّدبّر.

الوسائل الموصلة إلى التّدبّر:

أهم الوسائل الموصلة إلى التّدبّر هي:

١- فهْم النّصّ القرآنيّ: والفهم في اللغة: مأخوذ من (ف هـ م)، يقال: فَهِمْتُ الشَّيء فَهَمًا وفَهْمًا: عَرَفْتُه وعَقَلْتُه، وفهّمتُ فلانًا وأَفْهَمْتُه: عَرَّفْته، وقرأ ابن مسعود: {**فَأَفْهَمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**}. ورجلٌ فَهِمٌ: سريع الفَهْم(٣).

فالفهم يدور معناه اللّغوي على العلم والمعرفة، قال ابن فارس: الفاء والهاء والميم: عِلْم الشيء(٤).

وهو من باب تعِب، وتسكين المصدر لغةٌ، وقيل: السّاكن اسم للمصدر، ويعدّى بالهمزة والتّضعيف(٥).

والتّضعيف(٥).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ١١/ ٧٢٤- ٧٢٥ (وسل).

(٢) تهذيب اللّغة، الأزهريّ ١٣/ ٤٨ (وسل).

(٣) كتاب العين للخليل ٦١/٤، باب الهاء والميم والفاء معهما (فهم). وقراءة: {**فَأَفْهَمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**} قراءة شاذّة، رويت عن عكرمة. انظر: مختصر في شواذّ القرآن لابن خالويه، ص: ٩٢. والقراءة الشّاذّة لا يمنع من الاستشهاد بها في اللّغة. والقراءة المتواترة فيها: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

(٤) معجم مقاييس اللّغة لابن فارِس ٤٥٧/٤، باب الفاء والهاء وما يثلثهما.

(٥) انظر: المصباح المنير، للفيّوميّ ص: ٤٨٢.

واصطلاحًا: تصوّر المعنى من لفظ المخاطب⁽١⁾. والتفهيم: إيصال المعنى إلى فهم السّامع بواسطة اللّفظ ⁽٢⁾؛ فهو هيئة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن، يقال: فهمت كذا، وأفهمته: إذا قلت له حتّى تصوّره، والاستفهام: أن يطلب من غيره أن يُفهمه⁽٣⁾.

قال الغزاليّ (ت: ٥٠٥ هـ): " التفهّم هو: أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها؛ إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عزّ وجلّ وذكر أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السّلام، وذكر أحوال المكذّبين لهم وأنّهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنّة والنّار... "⁽٤⁾.

وقد ورد لفظ الفهم في القرآن الكريم مرّة واحدة بصيغة الفعل المضعّف، قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٩] «سمّى ما آتاهما علمًا وحكمًا، وخصّص ما انفرد به سليمان بالتفطّن له باسم الفهم، وجعله مقدّمًا على الحكْم والعلْم»⁽٥⁾. «وذلك إمّا بأن جعل الله له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في رُوعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به»⁽٦⁾.

والفهم إكرام من الله يخصّ به الموفّقين من عباده، قال أبو جُحَيفة (ت: ٦٤هـ) ﷺ : قلت لعليّ ﷺ : " هل عندكم شيء من الوحي إلّا ما في كتاب الله؟ قال: والّذي فلَق الحبّة وبرأ النّسَمة ما أعلمه إلّا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصّحيفة. قلت: وما في الصّحيفة؟ قال: العَقْل، وفَكاك الأسير، وأنْ لا يُقتل مسلم بكافر "⁽٧⁾.

العلاقة بين الفهم والتّدبّر:

جعل الله القرآن الكريم مُيسّرًا للقراءة والفهم، فأنزله بلسان عربيّ مبين واضح سهل التّناول، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧] أي سهّلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه⁽٨⁾، يعني بيّنّاه بلسانك العربيّ، وجعلناه سهلًا على من تدبّره وتأمّله. وقيل: أنزلناه عليه بلسان العرب ليسهل

---

(١) التّعريفات للجرجانيّ، ص: ٢١٧.

(٢) التّعريفات للجرجانيّ، ص: ٨٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للرّاغب، ص: ٦٤٦.

(٤) إحياء علوم الدّين، الغزاليّ ٢٨٢/١.

(٥) إحياء علوم الدّين، الغزاليّ ٢٩٠/١.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للرّاغب، ص: ٦٤٦.

(٧) صحيح البخاريّ ٤/ ٦٩ (٣٠٤٧). وسنن التّرمذيّ ٤/ ٢٤ (١٤١٢). وقال: حديث حسن صحيح. وسنن الدّارميّ ٣/ ١٥٢١ (٢٤٠١). والسّنن الكبرى للنّسائيّ ٦/ ٣٣٤ (٦٩٢٠). وسنن ابن ماجه ٢/ ٨٨٧ (٢٦٥٨). فلق: الفَلْق بالسكون الشّقُّ، والذي فَلَق الحبَّةَ: أي الذي شق حبَّة الطَّعام لِلْإِنْبات. النّهاية في غريب الحديث والأثر ٩٢١/٣. وبَرأ النَّسَمة: أي خَلَق ذات الرُّوح. والنَّسَمة: النَّفْس والروح. النّهاية في غريب الحديث والأثر ١١٩/٥. العقل: الدِّية. النّهاية في غريب الحديث والأثر ٥٣٤/٣.

(٨) تفسير القرطبي ١٥٥/١٦.

عليهم فهمه(١). وذلك أنّ الله –تعالى- قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ [النّساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] وتدبّر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وعقْل الكلام متضمّن لفهمه(٢)؛ وعلى هذا يكون الفهم بوّابةً للتّدبّر، ومرحلةً سابقة عليه، فلا يوصل إلى تدبّر الكلام قبل أن يوصل إلى فهمه؛ فهو مبنيّ عليه، ومترتّب عليه؛ إذ تدبّر الكلام دون فهم معانيه لا يمكن، فالتّدبّر فرع الفهم والتفقّه في كتاب الله، ويكون بإعادة النّظر مرّة بعد مرّة، مع الزّيادة في التّكرار وتقليب النّظر وإعادته ومواصلة التّدبّر في الآيات واحدة دُبُر الأخرى حتّى يصل إلى الغاية المطلوبة، فتكون الآيات الآمرةُ بالتّدبّر آمرةً بالفهم من باب أولى، ويكون فهم القرآن واجبًا لتوقّف التّدبّر عليه، «وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب».

وفي قول الله –تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢] يعني بالكتاب: القرآن، والمراد: ويعلّمهم تلاوة ألفاظه. ويعني بالحكمة: فهم معاني القرآن والعمل بما فيه؛ فالحكمة هي: فهم القرآن والعمل به، فلا يكفي بتلاوة ألفاظ الكتاب حتّى يعلم معناه ويعمل بمقتضاه؛ فمن جمع له ذلك كلّه فقد أوتي الحكمة، قال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة:٢٦٩](٣). كما أنّ العناية بالفهم لا يعني إهمال الحفظ، وتجويد التّلاوة.

وإذا كان المقصود من كلّ كلام فهم معانيه فالقرآن أولى بذلك، والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فنّ من العلم كالطّبّ والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الّذي هو عصمتهم، وبِهِ نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم(٤).

وأوّل ما يُحتاج إليه لفهم القرآن معرفة معاني ألفاظه، قال الرّاغب الأصفهانيّ (ت: نحو ٤٢٥ هـ): " أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللّفظية، ومن العلوم اللّفظية تحقيق الألفاظ المفردة "(٥)؛ ولهذا سبقت العناية بغريب القرآن ومعانيه عند المفسّرين واللّغويين مدارسة وتأليفًا؛ إذ فهْم المفردة أساس لفهم التّركيب، وفهم الجزء أساس لفهم الكلّ، يقول عبد الحميد الفراهيّ (ت: ١٣٤٩هـ): " لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، وإنّما يَسلم المرءِ عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه، فمن لم يتبيّن معنى الألفاظ المفردة من

---

(١) تفسير القرطبي ١٦٢/١١.

(٢) مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيميّة، ص: ١٥.

(٣) لطائف المعارف، ابن رجب، ص: ٨٤. وتفسير الحكمة بفهم القرآن قول مجاهد. انظر: تفسير البغويّ ١٥٢/١.

(٤) مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيميّة، ص: ١٥-١٦. (بتصرّف يسير).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للرّاغب، ص: ٥٤.

القرآن أُغلق عليه باب التّدبّر، وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسّورة ... ثمّ سوء فهم الكلمة ليس بأمر هيّن، فإنّه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام
وكلّ ما يدلّ عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبيّن بعضها بعضًا للزوم التّوافق بينها .." (١).

وبهذا يتبيّن لنا أنّ الفهم سابق للتّدبّر، وممهّد له، وليس مرادفًا له.

وإذا كان القرآن متيسّر الفهم والتّدبّر، فمن يفهمه ويتدبّره؟ هل هو عامّ لكلّ العباد، أم خاصّ بالعلماء؟

يمكن للإنسان العاديّ أن يتفاعل مع القرآن الكريم ؛ لما فيه من الإبانة والهدى؛ فهو مصدر الهداية، وهو تبيان لكلّ شيء، وهذا يدلّ على إمكانيّة فهم كثير من مضامينه ومعانيه وهداياته، فالمسلم قليل الثّقافة له حظّ في القرآن كما للعالِم حظّ أوفر، وقد يفتح الله لبعض الناس بإخلاصهم ما لا يفتح لغيرهم، ولو كان فهْم القرآن مقتصرًا على فئة من النّاس لكان الخطاب موجّهًا إليهم، ونفْع القرآن مقتصرًا عليهم، يقول ابن عبّاس: " التّفسير على أربعةِ أوجُهٍ: وجهٌ تعرفُه العربُ من كلامها، وتفسيرٌ لا يُعذَر أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يعْلَمُه العُلماءُ، وتفسيرٌ لا يعْلمُه إلّا اللهُ تعالى ذِكْرُه" (٢)

فالوجه الذي لا يُعذر أحد بجهالته هو: معرفة ما فيه من الأحكام الواضحة، والمواعظ الجليّة المؤثّرة، والحجج القويّة البيّنة، والمعاني الكليّة الّتي دلّت عليها الآيات، فمثل هذا متيسّر لكلّ ذي علم باللّسان الّذي نزل به القرآن، فمثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:١١٠] يفهم منها المخاطب أنّه مطالب بالصّلاة، وكقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] أنّ الله إله واحد، ويطلب منّا عبادته وحده. يقول الصّنعانيّ (ت: ١١٨٢هـ): «كثير من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة لا يحتاج في معناها إلى علم النّحو وإلى علم الأصول، بل في الأفهام والطّباع والعقول ما سارع به إلى معرفة المراد منها، عند قرع الأسماع من دون نظر إلى شيء من تلك القواعد الأصوليّة والأصول النّحويّة؛ فإنّ من قرع سمعه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [المزّمّل: ٢٠] يفهم معناه دون أن يعرف أن (ما): كلمة شرط، و(تقدّموا): مجزوم بها لأنّه شرطها، و(تجدوه): مجزوم بها لأنّه جزاؤه، ومثلها: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ومثلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النّحل: ٩٠] يفهم من الكلّ ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربيّة ودقائق القواعد

---

(١) مفردات القرآن للفراهيّ، ص: ٩٥.

(٢) أخرجه ابن جرير الطّبريّ في تفسيره ١/٧٠.

الأصوليّة ؛ ولذا ترى العامّة يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وما حواه، ولا يعرفون إعرابًا ولا غيره ممّا سقناه، بل ربّما كان موقع ما يسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقّق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذّكاء والانتقاد... فليت شعري! ما الّذي خَصَّ الكتاب والسّنّة بالمنع عن معرفة معانيها، وفهم تراكيبها ومبانيها، والإعراض عن استخراج ما فيها حتّى جعلت معانيها كالمقصورات في الخيام، قد ضربت دونها السّجوف، ولم يبق لنا إليها إلا ترديد ألفاظها والحروف، وأنّ استنباط معانيها قد صار حِجرًا محجورًا، وحرمًا محرّمًا محصورًا » اهـ (١).

وهذا لا يمنع أيضًا أنْ يعرض القارئ فهمه وتدبّره على أهل العلم ؛ ليستفيد منهم ويُفيدهم.

لكنّ المشكلة في مثل هذا القارئ إذا تجاوز قدْر نفسه وحدود علمه، فنصّب من نفسه مفسّرًا لكتاب الله –تعالى– ، وتقوّل على الله بغير علم، أو كان عنده سوء قصْدٍ من هوى في نفسه، أو فساد في اعتقاده، أو مَيل إلى نزعة أو مذهب أو نِحلة، فراح يطلب من الآية فهمًا يوافق ما في نفسه، ولا يوافق مراد ربّه، «فيجرّ شهادة القرآن لتقرير رأيه، ويمنعه عن فهم القرآن حقّ فهمه ما قيّد عقله من التّعصّب عن أن يجاوزه، فلا يمكّنه أن يخطر بباله غير مذهبه، حتّى إن لمع له بارق حقّ وبدا له معنى يباين مذهبه حمل عليه شيطان التّعصّب حملة وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقدك»(٢)، يقول ابن القيّم: " صحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميّز به بين الصّحيح والفاسد، والحقّ والباطل، والهدى والضّلال، والغيّ والرّشاد، ويمدّه حسن القصد، وتحرّي الحقّ، وتقوى الرّبّ في السّرّ والعلانية، ويقطع مادّته اتباع الهوى، وإيثار الدّنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى " (٣).

ومن أجل الفهم الصّحيح، لا بدّ من الرّجوع إلى:

أ– القرآن الكريم، فآياته يصدّق بعضها بعضًا، ويفسّر بعضها بعضًا، فما أُجمل في مكان فإنّه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر.

ب– وإلى السّنّة؛ فهي المبيّنة للكتاب والشّارحة له، قال الشّافعي –رحمه الله–: " كلّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النّساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النّحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النّحل: ٦٤] " (٤).

---

(١) إرشاد النقّاد إلى تيسير الاجتهاد، محمّد بن إسماعيل الصّنعانيّ، ص: ٨٤–٨٥.

(٢) انظر: إحياء علوم الدّين، الغزاليّ ٢٨٤/١. والتّحرير والتّنوير، الطّاهر ابن عاشور ٣١/١،

(٣) إعلام الموقّعين، ابن قيّم الجوْزيّة ٦٩/١.

(٤) مقدّمة في أصول التّفسير لابن تيميّة، ص: ٥٧–٥٨.

ج- وإلى أقوال الصّحابة، فهم الذين شاهدوا تنزيل القرآن وعايشوا أحداثه وتطبيقاته. فإن لم نجد عندهم من ذلك نرجع إلى طريق الاجتهاد ويُقدّم فهْم كبار التابعين إنْ وجد؛ لأنّ أخذهم في الغالب يكون عن الصّحابة، وإلّا فيجتهد في الفهم من خلال الرّجوع إلى العلوم الّتي يفهم النّصّ القرآنيّ من خلالها وعلى رأسها:

١- علوم القرآن، كعلم أسباب النّزول والمحكم والمتشابه والمكّيّ والمدنيّ ...

٢- وعلوم اللغة العربيّة الّتي نزل بها القرآن الكريم ؛ ليستوحي مها معاني المفردات والتّراكيب، ويتذوق بلاغة النّظم القرآنيّ البديع. قال الشّاطبيّ (ت: ٧٩٠ هـ): " القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنّما يكون من هذا الطّريق خاصّة ؛ لأنّ الله –تعالى- يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢] وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشّعراء: ١٩٥] وقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النّحل: ١٠٣] وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصّلت: ٤٤] إلى غير ذلك ممّا يدلّ على أنّه عربيّ وبلسان العرب، لا أنّه أعجميّ ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهّمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلّب فهمه من غير هذه الجهة "(١).

٢- التّلاوة بترسّل وتمهّل، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزّمّل: ٤] أي اقرأه على تمهّل فإنّه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبّره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه فيما روته أمّ المؤمنين حفصة (ت: ٤٥ هـ) -رضي الله عنها- قالت: «**كانَ يَقْرَأُ بِالسّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْها**»(٢).

وقال رجل لعبد الله بن مسعود: قرأت المفَصَّل البارحة. فقال هذًّا كهَذّ الشِّعْر! إنّا قد سمعنا القراءة، وإنّي لأحفظ القُرَناء الّتي كان يقرأ بهنّ النّبيّ ﷺ؛ ثماني عشرة سورة من المفَصّل، وسورتين من آل حم(٣).

والهَذُّ: سرعة القَطْع. أرادَ أتَهُذُّ القرآن هذًّا فَتُسْرِع فيه كما تُسْرع في قراءة الشِّعْر؟(٤).

قال الخطّابيّ (ت: ٣٨٨ هـ): " الهذّ سرعة القراءة، وإنّما عاب ذلك عليه ؛ لأنّه إذا أسرَعَ القرآنَ ولم يرتّل فاتَه فهم القرآن وإدراك معانيه "(١).

---

(١) انظر: الموافقات للشّاطبيّ ٢/٦٤.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٠٧ (٧٣٣). والسّنن الكبرى للنّسائيّ ٢/ ١٤٧ (١٣٨٠). وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٢٥٠.

(٣) صحيح البخاريّ ٦/ ١٩٥ (٥٠٤٣). وصحيح مسلم ١/ ٥٦٣ (٨٢٢م).

(القُرَناء): النّظائر في الطّول والقصر الّتي كان النّبيّ ﷺ يقرن بينها في صلاته.

(٤) النّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/٥٨٠.

٣- اختيار أوقات الصّفاء والبركة، كالصّلاة في جوف اللّيل، ورفع الصّوت قليلًا لتشترك الجوارح بعمليّة الفهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا ﴾ [المزّمّل: ٦] أي في هذا الوقت يتوافق السّمع واللّسان والقلب وتتواطأ على تفهّم القرآن، لفراغه وعدم تمكّن الاشتغال فيه؛ فيفهم القرآن ويتدبّره(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**تعلّموا القرآن فاقرؤوه وأَقرِئوه، فإنّ مثل القرآن لمن تعلّمه فقام به كمثل جِراب محْشوّ مسْكًا يفوح ريحُه في كلّ مكان، ومثل من تعلّمه فرَقَد وهو في جوفه كمثل جِراب أوكِيَ على مسْكٍ**))(٣).

٤- التّوبةُ عن المعاصي والبدع الحاجبة عن فهم القرآن الكريم، وطلبُ الفهم من الله – تعالى- بالدّعاء والتّضرّع إليه، مع الأخذ بأسباب الاستجابة، فالله أكرم من أن يردّ العبد خائبًا إذا سأله ورجاه، قال ﷺ: ((**إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**))(٤).

٥- مدارسة القرآن في المسجد، وهي مشاركة في تدبّر القرآن، يقوم بها أكثر من طرف، كأنْ تكون بين الشّيخ وتلاميذه، أو غير ذلك من الصّوَر الممكنة، وهي المشار إليها بقوله ﷺ: ((**وما اجْتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتْلونَ كتابَ الله، ويَتَدارسونَه بينهم، إلّا نزلَتْ عليهمُ السّكينة، وغشِيَتْهم الرّحمةُ، وحفّتْهم الملائكةُ، وذكَرَهم الله فيمَنْ عنْدَه**))(٥). ولنا في مدارسة جبريل مع النّبيّ ﷺ في ليالي رمضان شاهد في ذلك، وهو ما رواه ابن عبّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما–، قالَ: «كانَ رَسولُ

---

(١) عون المعبود، محمّد العظيم آباديّ ٤/١٩١.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوْزيّة ١/٢٠٩. وتفسير الجلالين، ص: ٧٧٣. قال النّوويّ: وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل؛ فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلًا وحديث: ((**ينزلُ ربُّكم كلّ ليلةٍ إلى سماء الدّنيا حين يمضي شطْرُ اللّيل، فيقول: هلْ من داعٍ فأستجيب له...**)) الحديث. التّبيان في آداب حملة القرآن للنّوويّ، ص: ٦٤.

(٣) سنن التّرمذيّ ٥/ ١٥٦ (٢٨٧٦) وقال: حسن. والسّنن الكبرى للنّسائيّ ٨/ ٨١ (٨٦٩٦). سنن ابن ماجه ١/ ٧٨ (٢١٧).

(جراب) الجراب وعاء من جلد. (محشوّ) أي مملوء. (يفوح) فاح المسك أي انتشر ريحه في كلّ مكان. (أوكي) أَوْكَيْت السِّقاء. إذا ربطت فمه بالوِكاء. والوِكاء: خيط تُشَدّ به الأوعية.

(٤) سنن التّرمذيّ ٥/ ٥٥٧ (٣٥٥٦) وقال: حديث حسن غريب، ورواه بعضُهم ولم يرفعه. والسُّنن الكبرى للبيْهقيّ ٢/ ٣٠٠ (٣١٤٦).

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ (٢٦٩٩). وسنن أبي داود ٢/ ٧١ (١٤٥٥). وسنن التّرمذيّ ٥/ ١٩٥-١٩٦ (٢٩٤٥). وسنن ابن ماجه ١/ ٨٢ (٢٢٥). و سنن الدّارميّ ١/ ٣٦٩ (٣٦٨).

اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكانَ أَجْوَد ما يَكونُ فِي رَمَضانَ حينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ، وَكانَ جِبْرِيلُ يَلْقاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضانَ، فَيُدارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»⁽¹⁾.

ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما⁽²⁾ من مراكز تحفيظ القرآن، أو الغرَف الصّوتيّة على (الإنترنت)، أو الهواتف الذّكيّة الّتي تحقّق هذه الغاية.

٦- البدء بالمواضع الأيسر فهمًا على القارئ: كاختيار البدء بالمفصّل، «وأول المفصَّل سورة الحجرات، وقيل: سورة (ق) ، وسمِّي المفصَّل بذلك لكثرة انفصال بعضه من بعض، وسمي المفصَّل أيضاً المُحْكَم؛ لأنه لم ينسخ منه شيء»⁽³⁾. وكان واضحًا في لفظه ومعناه، قال سعيد بن جبير: «إنَّ الّذي تَدْعُونَهُ المُفَصَّلَ هُوَ المُحْكَمُ»، وقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَمَ»⁽⁴⁾. فابن عبّاس بدأ بالمفصّل، وهو أيسر للفهم، وخاصّة للمبتدئين، قال عمر رضي الله عنه: «إِنْ كانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مُتَعَلِّمًا فَلْيَتَعَلَّمْ مِنَ الْمُفَصَّلِ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ»⁽⁵⁾. وهذا يساعد في غرس الإيمان وتثبيته، وتقبّل الأحكام التّكليفيّة في السّوَر الأخرى، كما ورد عن السّيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّما نَزَلَ أَوَّلَ ما نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيها ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنّارِ، حَتَّى إذا ثابَ النّاسُ إلى الإسْلامِ نَزَلَ الحَلالُ وَالحَرامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لا تَشْرَبوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لا تَزْنوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّساءِ إِلّا وَأَنا عِنْدَهُ»⁽⁶⁾.

٧- التّكرار لما يقرأ، ويُفضّل أن يكون من حفظه، وأن يكون في صلاة، قال ابن قدامة (ت: ٦٨٩ هـ): «ينبغي لتالي القرآن العظيم أنْ يعلم أنّ ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلِّم سبحانه ويتدبّر كلامه، فإن التّدبّر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التّدبّر إلا بترداد الآية فلْيردّدْها»⁽⁷⁾.

---

(١) صحيح البخاريّ ٤/ ١١٣ (٣٢٢٠).

(٢) شرح النّوويّ على مسلم ٢٢/١٧.

(٣) جمال القرّاء وكمال الإقراء، ص: ٨٨- ٨٩.

(٤) صحيح البخاريّ ٦/ ١٩٣ (٥٠٣٥).

قوله :(قرأت) أي: حفظت؛ لذلك يحتمل أن يكون قوله: (وأنا ابن عشر سنين) راجعًا إلى حفظ القرآن لا إلى وفاة النّبيّ ﷺ، فإنّه كان له عندها ثلاث عشرة سنة. انظر: تعليق د. مصطفى البغا على هذه الرّواية.

(٥) مصنّف عبد الرزّاق ٣/ ٣٨١ (٦٠٣٠).

(٦) صحيح البخاري ٦/ ١٨٥ (٤٩٩٣).

(٧) مختصر منهاج القاصدين، ص: ٥٥.

وقد ورد عن النّبيّ ﷺ أنّه قام بآية حتّى أصبح يردّدها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] (١)، «وقد بات جماعة من السّلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظمها، يتدبّرها عند القراءة»(٢).

وما معنى أنْ يكرّر الإنسان آية عشرات المرّات إذا لم يكن فيها تدبّر وتفكّر.

بعض الأحكام المتعلّقة بالتّدبّر:

١- القراءة من المصحف أو من الحفظ؟

قال النّوويّ: " قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة من حفظه، هكذا قاله أصحابنا، وهو مشهور عن السّلف ﷺ ، وهذا ليس على إطلاقه، بل إنْ كان القارئ من حفظه يحصل له من التّدبّر والتفكّر وجمْع القلب والبصر أكثر ممّا يحصل من المصحف؛ فالقراءة من الحفظ أفضل، وإنْ استويا فمن المصحف أفضل، وهذا مراد السّلف "(٣).

٢- رفع الصّوت بالقراءة أو إيثار الإسرار؟

جاءت آثار بفضيلة رفع الصّوت بالقراءة وآثار بفضيلة الإسرار.

قال العلماء: والجمع بينهما أنّ الإسرار أبعد من الرّياء فهو أفضل في حقّ مَن يخاف ذلك، فإنْ لم يَخَف الرّياءَ فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذي غيره من مصلٍّ أو نائم أو غيرهما.

ودليل فضيلة الجهر أنّ العمل فيه أكثر لأنّه يتعدّى نفعه إلى غيره، ولأنّه يُوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ولأنّه يطرد النّوم ويزيد في النّشاط ويُوقظ غيره من نائم وغافل ويُنشِّطه، فمتى حضره شيء من هذه النيّات فالجهر أفضل(٤).

٣- التّرتيل وقلّة القراءة أو السّرعة مع كثرة القراءة؟

اختلف النّاس في الأفضل من التّرتيل وقلّة القراءة أو السّرعة مع كثرة القراءة: أيّهما أفضل على قولين:

---

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٤٢٩ (١٣٥٠)، وفي الزّوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. مصباح الزّجاجة ١/١٥٩. والسّنن الكبرى للنّسائيّ ٢/ ٢٤ (١٠٨٤). ومسند أحمد ٣٥/ ٢٥٦ (٢١٣٢٨). وفيه تمام القصّة. والمستدرك للحاكم ١/ ٣٦٧ (٨٧٩) وقال: صحيح. ووافقه الذّهبيّ.

(٢) الأذكار للنّوويّ، ص: ٩٩. وانظر بعض الروايات في إحياء علوم الدّين ١/٢٨٢. وفي غيره.

(٣) الأذكار للنّوويّ، ص: ١٠٠.

(٤) الأذكار للنّوويّ، ص: ١٠٠.

أ- فذهب ابن مسعود وابن عبّاس -رضي الله عنهما- وغيرهما إلى أنّ التّرتيل والتّدبّر مع قلّة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها. واحتجّ أرباب هذا القول بأن المقصود من القراءة فهمه وتدبّره والفقه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه...

قالوا : ولأنّ الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبّره هو الّذي يثمر الإيمان، وأمّا مجرد التّلاوة من غير فهم ولا تدبّر فيفعلها البَرُّ والفاجر والمؤمن والمنافق، كما قال النّبيّ ﷺ: ((... **وَمَثَلُ الفاجِرِ الَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحانَةِ رِيحُها طَيِّبٌ، وَطَعْمُها مُرٌّ...**)) (١) فكما أنّ من أوتي إيمانًا بلا قرآن أفضل ممّن أوتي قرآنًا بلا إيمان، فكذلك من أوتي تدبّرًا وفهمًا في التّلاوة أفضل ممّن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبّر. قالوا: وهذا هدي النّبيّ ﷺ، فإنّه كان يرتّل السّورة حتّى تكون أطول منها، وقام بآية حتّى الصّباح(٢).

ب- وقال أصحاب الشّافعيّ -رحمه الله-: " كثرة القراءة أفضل، واحتجّوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مَنْ قرأَ حرفًا منْ كتابِ الله فله به حسَنة، والحسَنة بعشْر أمثالِها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكنْ ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**))(٣).

قالوا : ولأنّ عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعة، وذكروا آثارًا عن كثير من السّلف في كثرة القراءة "(٤).

قال الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ): " والتّحقيق أنّ لكلٍّ من الإسراع والتّرتيل جهةُ فضل، بشرط أن يكون المسرع لا يخلّ بشيء من الحروف والحركات والسّكون الواجبات، فلا يمتنع أن يفضل أحدهما الآخر وأن يستويا، فإنّ من رتّل وتأمّل كمن تصدّق بجوهرة واحدة مثْمِنة، ومن أسرع كمن تصدّق بعدة جواهر لكنّ قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات، وقد يكون بالعكس "(٥).

٤- حكم التّدبّر على غير طهارة:

قال النّوويّ: " القراءة لا تطلق إلّا على حركة اللّسان بحيث يُسمع نفسه، ولهذا اتّفقوا على أنّ الجنُب لو تدبّر القرآن بقلبه من غير حركة لسانه لا يكون قارئًا مرتكبًا لقراءة الجنُب المحرّمة" (٦).

---

(١) جزء من حديث في صحيح البخاريّ ٦/ ١٩١ (٥٠٢٠). وصحيح مسلم ١/ ٥٤٩ (٧٩٧).

(٢) تقدّم تخريج الحديثين انظر ص: ١٦ وص: ١٩.

(٣) سنن التّرمذيّ ٥/ ١٧٥ (٢٩١٠) وقال: حديث حسَن صحيح غريب. وشعب الإيمان للبيْهقيّ ٣/ ٣٧١ (١٨٣٠). ومصنّف عبد الرزّاق ٣٧٥/٣ (٦٠١٧). قال الهيثميّ: رواه الطّبرانيّ في الأوسط والكبير، والبزّار، وفيه موسى بن عُبيدة الرّبذيّ وهو ضعيف. مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد ٧/ ١٦٣ (١١٦٥٤).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوْزيّة ٣٢٧/١-٣٢٨.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، ابن حجر ٨٩/٩.

(٦) شرح النّوويّ على مسلم ٤/ ١٠٣.

وهذا لبيان الحكم الفقهيّ من حيث الجواز أو المنع، ولا يدخل في جانب الآداب والمستحبّات.

٥- عادة السّلف في ختم القرآن:

اختلفت الرّواية عن السّلف في ختم القرآن؟ قال النّوويّ: " كان السّلف ﷺ لهم عادات مختلفة في قدْر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السّلف ﷺ أنّهم كانوا يختمون في كلّ شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كلّ شهر ختمة، وعن بعضهم في كلّ عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كلّ ثمان ليال، وعن الأكثرين في كلّ سبع ليال، وعن بعضهم في كلّ ستّ، وعن بعضهم في كلّ خمس، وعن بعضهم في كلّ أربع، وعن كثيرين في كلّ ثلاث، وعن بعضهم في كلّ ليلتين، وختم بعضهم في كلّ يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم في كلّ يوم وليلة ختمتين، ومنهم من كان يختم ثلاثًا، وختم بعضهم ثمان ختمات أربعًا بالليل وأربعًا بالنّهار ... وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم واللّيلة... ثمّ قال: والاختيار أنّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص؛ فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائفُ ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهْم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولًا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدّين، ومصالح المسلمين العامّة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مُرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فلْيستكثر ما أمكنه، من غير خروج إلى حدّ الملل والهذْرمة.

وقد كره جماعة من المتقدّمين الختم في يوم وليلة، ويدلّ عليه الحديث الصّحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يفْقَهُ منْ قرَأ القرآنَ في أقلّ من ثلاث**))(١). وهذا نصّ صريح في أنّه لا يختم القرآن في أقلّ من ثلاثة أيام "(٢).

وهناك من اجتهد في أن يجعل التّدبّر على مراتب، فلكلّ درجة من التّدبّر مدّة مناسبة من الزّمن للختم، قال بعض العارفين: " لي في كلّ جمعة ختمة، وفي كلّ شهر ختمة، وفي كلّ سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد. وذلك بحسب درجات تدبّره وتفتيشه، وكان هذا أيضًا يقول: أقمت نفسي مقام الأجَراء، فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة "(٣).

* * *

---

(١) التّبيان في آداب حملة القرآن، النّوويّ ٥٩- ٦٢. وانظر شرح النّوويّ على مسلم ٨/٤٢-٤٣. والأذكار للنّوويّ، ص: ٩٥-٩٦. والحديث في سنن أبي داود ٢/ ٥٦ (١٣٩٤). وسنن التّرمذيّ ٥/ ١٩٨ (٢٩٤٩) وقال: حديث حسن صحيح. و سنن الدّارميّ ٢/ ٩٣٦ (١٥٣٤). وسنن ابن ماجه ١/ ٤٢٨ (١٣٤٧). قال الهيثميّ: رواه الطّبرانيّ في الكبير ورجاله رجال الصّحيح. مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد ٢/ ٢٦٩ (٣٦٢١).

(٢) عون المعبود، محمّد العظيم آباديّ ٤/ ١٨٧.

(٣) إحياء علوم الدّين، الغزاليّ ١/٢٨٢.

المبحث الثّالث

موانع تدبّر القرآن الكريم

الموانع: جمع مانع، وهو اسم فاعل من منع الشيء: إذا حال بينه وبين مقصوده⁽¹⁾، قال في اللّسان: المَنْعُ: أَن تَحولَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الَّذي يُرِيدُهُ، وَهُوَ خلافُ الإِعْطاءِ، ويُقالُ: هُوَ تحجيرُ الشَّيْءِ⁽²⁾.

فهذه الموانع تحول بين القارئ والتّدبّر وتصرفه عنه. فإذا وجدَت انتفى التّدبّر. وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمّد: ٢٤]؛ فأقفال القلوب هي الصّوارف والعوائق التي تمنع من التّدبّر. وهي ترجع إلى أدوات الفهم عند القارئ، أو إلى بعض صفات القارئ الخُلُقيّة والسّلوكيّة. قال الغزاليّ: «ومن لم يكن له فهْمُ ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمّد: ١٦] والطّابع هي الموانع...»⁽³⁾.

أهم الموانع الصّارفة عن التّدبّر:

تقدّم ذكر الوسائل الموصلة إلى تدبّر القرآن الكريم، وهذه الوسائل إذا لم تتحقّق فيعني أنّ التّدبّر لن يتحقّق، كما تقدّم أنّ أهمّ سبب في ذلك هو فهم النّصّ القرآنيّ، وإذا لم يتحقّق الفهم فلن يتحقّق التّدبّر، وعلى هذا فأهمّ موانع التّدبّر:

١- عدم فهم النّصّ القرآنيّ: القرآن ليس عصيًّا على الفهم فهو كذلك ليس عصيًّا على التّدبّر، لكن قد ينصرف بعض المسلمين عن تدبّر القرآن بحجة أنه يصعب فهمه وتدبّره على غير العلماء، أو أن يستعظم القول في كلام الله –تعالى- تورّعًا، وهذا من تلبيس إبليس الّذي يريد أن يصرف النّاس عن آيات الله وهدايته، ويشغلهم عن وظيفة القرآن وغايته، يقول ابن هبيرة (ت: ٥٦٠ هـ): «من مكايد الشّيطان: تنفيره عباد الله من تدبّر القرآن، لعلمه أنّ الهدى واقع عند التّدبّر، فيقول هذه مخاطرة، حتّى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورّعًا»⁽⁴⁾. وما رُوي عن بعض السّلف من مثل هذا التحرّج؛ فلأنّه لم يكن لديهم علم ورواية فيما أحجموا عن الكلام فيه، ولو خاضوا لكان من القول

---

(١) المطلع على ألفاظ المقنع للبعليّ، ص: ٥٠٢.

(٢) لسان العرب (٨/ ٣٤٣ (منع).

(٣) إحياء علوم الدّين (١/ ٢٨٣). وقد ذكر أربعة حجب للفهم.

(٤) الذّيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢٧٣/١.

في القرآن بغير علم، وهو منهيّ عنه. وقد تقدّم قول ابن عباس: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله – تعالى ذكره – " (١). والقرآن معظمه واضح بيّن وظاهر لكلّ الناس لا يُعذر أحد بجهالته ؛ إذ يشمل الأمر بالفرائض والنهي عن المحارم وأصول العقائد والأخلاق، ويكفي المتدبّر للقرآن أن يعلم المعنى العام للآية أو السورة، ممّا أُثِرَ عن جمهور السّلف ممّا يبعث على العظة والاعتبار والهداية دون الإحاطة بتفاصيل الأحكام الّتي هي من تخصّص العلماء.

٢- الجهل بعلوم القرآن: ومن أهمّها العلم بأسباب النّزول؛ إذ نظم القرآن فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب إنّما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، ومعرفةُ الأسباب من المهمّات في فهم الكتاب بلا بدّ، ومعنى معرفة السّبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، كما أن الجهل بأسباب التّنزيل مُوقِع في الشُّبَه والإشكالات، ومُورد للنّصوص الظّاهرة مَورد الإجمال، حتّى يقع الاختلاف، وذلك مظنّة وقوع النّزاع ... (٢). وقد فهم قدامة بن مظعون (ت: ٣٦هـ) رضي الله عنه من قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣] إباحة شرب الخمر حتّى بيّن له ابن عباس سبب نزولها، فقال: " إنّ هؤلاء الآيات أنزلن عذرًا لمن غَبَر، وحجّة على النّاس... " (٣). وروى البراءِ بن عازبٍ (ت: ٧١هـ) قال: " ماتَ رجالٌ منْ أصْحابِ النّبيّ ﷺ قبْلَ أنْ تُحَرَّمَ الخمرُ، فلمّا حُرِّمَت الخمْرُ قال رجالٌ: كيفَ بأصْحابنا وقدْ ماتوا يَشْربون الخمرَ؟ فنزلتْ: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣] " (٤)، ولولا بيان سبب النّزول لظلّ النّاس إلى يومنا هذا يبيحون تناولَ المسْكرات وشربَ الخمرِ أخذًا بفهْمِهم لظاهر الآية؛ فالغفلةُ عن أسباب التّنزيلِ تؤدّي إلى الخروج عن المقصود بالآيات (٥).

٣- البعد عن العلوم الّتي تعين على فهم القرآن: وعلى رأسها علوم اللّغة العربيّة، ومعرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها أيّام تنزيل القرآن، وهذا يتأكّد في زمن الابتعاد عن زمن نزول القرآن، «وانتشار اللّهجات العاميّة ممّا أسهم في تولّد صعوبات في فهم القرآن الكريم مقارنة بما كان

---

(١) تقدّم تخريجه، انظر ص: ١٤.

(٢) انظر: الموافقات للشّاطبيّ ٣/٣٤٧.

(٣) انظر: مصنّف عبد الرزّاق ٩/ ٢٤٠- ٢٤٢ (١٧٠٧٦). والموافقات للشّاطبيّ ٣/٣٤٩.

(٤) سنن التّرمذيّ ٥/ ٢٥٤ (٣٠٥٠). وقال: حَسَنٌ صَحيحٌ.

(٥) انظر: البرهان للزرّكشيّ ١ / ٢٨. والإتقان للسّيوطيّ ١ / ١٠٨، ومباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح ١٣١.

جاريًا لدى الرّعيل الأوّل، الأمر الذي يؤدّي إلى عدم فهم معاني القرآن وعدم التأثّر به أو الانفعال بآياته»[١].

٤- الاكتفاء بالتّلاوة والحفظ عن الفهم: وفي قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ [القمر: ١٧] ما يشير إلى أنّ العناية بحفظ ألفاظه لا يمنع من فهم معانيه، فكما سهّل الله ألفاظه للتّلاوة والحفظ سهّل معانيه للفهم والتّدبّر، فكلّ من قصده يسّر الله عليه طُلبته، وجاء في تفسير هذه الآية عن بعض السّلف قال: «هلْ من طالبِ علمٍ فيُعان عليْه». «هلْ من طالبِ خيرٍ يُعان عليْه»[٢].

ومثله الاجتهاد في نَيْل الخيريّة الواردة في قول النّبيّ ﷺ: ((**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**))[٣]، والاكتفاء منها بالتّعلّم والتّعليم وقصره على تعلّم التّلاوة دون الفهم والتّدبّر.

٥- المعصية: فعن بعض السّلف قال: «أذنبت ذنبًا فحُرمت فهم القرآن» [٤]. وقال عثمان وحذيفة -رضي الله عنهما-: «لو طهُرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن» وإنّما قالوا ذلك لأنّها بالطّهارة تترقّى إلى مشاهدة المتكلّم في الكلام [٥].

ومن المعاصي: الغناء، فقد ثبت عن ابن مسعود (ت: ٣٢ هـ) أنّه قال: «الغناء يُنبت النّفاق في القلب كما يُنبت الماءُ الزّرع، والذّكر يُنبت الإيمانَ في القلب كما يُنبت الماءُ الزّرعَ»[٦].

قال ابن القيّم: " اعلم أن للغناء خواصّ لها تأثير في صبغ القلب بالنّفاق ونباته فيه كنبات الزّرع بالماء، فمن خواصّه: أنّه يلهي القلب ويصدّه عن فهم القرآن وتدبّره والعمل بما فيه، فإنّ القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا لما بينهما من التّضادّ "[٧].

ومنها: ترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقد جاء في الحديث: ((**إذا عَظَّمت أمّتي الدّنيا نُزعت منها هيبةُ الإسلام، وإذا تركَت الأمرَ بالمعروف والنّهيَ عن المنكر حُرمت برَكَةَ الوحي، وإذا تسابَّت أمّتي سقطتْ من عين الله**)) وحرمان بركة الوحي يعني: فهم القرآن؛ وذلك لأنّ في ترك الأمر والنّهي خذلان الحقّ وجفوة الدّين، وفي خذلان الحقّ ذهاب البصيرة، وفي جفاء الدّين فقْد النور؛

---

[١] تدبّر القرآن بين النّظريّة والتّطبيق، د. رقيّة طه جابر العلوانيّ، ص: ٣٧.

[٢] تفسير الطّبريّ ٢٢/ ١٣٢، والقول الأول مرويّ عن ابن شوْذب عن مطر، والثّاني مرويّ عن قتادة.

[٣] صحيح البخاري ٦/ ١٩٢ (٥٠٢٧). سنن أبي داود ٢/ ٧٠ (١٤٥٢). سنن التّرمذيّ ٥/ ١٧٣ (٢٩٠٧) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ. السّنن الكبرى للنّسائيّ ٧/ ٢٦٧ (٧٩٨٣). سنن ابن ماجه ١/ ٧٦ (٢١١).

[٤] طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيّم الجوْزيّة، ص: ٤٠٨.

[٥] إحياء علوم الدّين، الغزاليّ ٢٨٨/١.

[٦] ذمّ الملاهي لابن أبي الدّنيا، ص: ٤١ (٣٠). ورواه مرفوعًا بلفظ: «الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي القَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ المَاءُ البَقْلَ» ص: ٤٥ (٣٩).

[٧] إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان، ابن قيّم الجوْزيّة ٢٤٨/١.

فيحجب القلب فيحرم بركته، وحرمان بركته أن يقرأه فلا يفهم أسراره ولا يذوق حلاوته، وهو من أعلم النّاس بالعلوم العربيّة وأبصرهم بتفسيره وقد عمي عن زواجره ووقوع وعده ووعيده وأمثاله (١).

٦- التّكبر في الأرض بغير الحقّ، واتّباع الهوى، والانصراف عن آيات الله، وعن طريق الرّشاد: قال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، قال سفيان بن عُيَيْنة (ت: ١٩٨هـ) في هذه الآية: " أنزِعُ عنهم فهْمَ القرآنِ وأصْرِفُهم عن آياتي "(٢). قال الزّركشيّ في البرهان: " أصلُ الوقوف على مَعاني القُرْآنِ التَّدَبُّرُ والتَّفَكُّرُ، واعلم أنّه لا يحصُل للنّاظر فهْمُ معاني الوحي حقيقةً، ولا يَظهرُ له أسرار العلم من غيْب المعرفة وفي قلبه بِدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبر أو هوىً أو حبّ الدّنيا أو يكون غير متحقّق الإيمان، أو ضعيف التّحقيق، أو معتمدًا على قول مفسّر ليس عنده إلّا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله، وهذه كلّها حجبٌ وموانعُ، وبعضُها آكَدُ من بعْضٍ "(٣).

٧- مخالَطة أهلِ المعْصية والغفْلة والشّبُهات، والطّمَع بما في أيديهم؛ فإنّهم إنْ أعطوه أخذوا من دينه أكثر، وكان سفيان بن عيينة يقول: «قد كنتُ أوتيتُ فهْمًا في القرآن، فلمّا أخذتُ من مالِ أبي جعفرٍ حُرمتُ ذلك»(٤).

* * *

---

(١) فيض القدير للمِناويّ ١/٤٠٤- ٤٠٥. والحديث أخرجه الحكيم التّرمذيّ عن أبي هريرة، قال العراقيّ: رواه ابن أبي الدّنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر معضلًا من حديث الفضيل، ص: ١٠٧ (٧٠). اهـ من فيض القدير. وأخرجه ابن أبي الدّنيا في كتاب ذمّ الدّنيا، ص: ١٤١ (٣٢٢). وفي كتاب العقوبات، ص: ٤١ (٣٧). وليس فيه الجملة الثالثة من الحديث: وإذا تسابّت ...

(٢) تفسير الطّبريّ ١٠/ ٤٤٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزّركشيّ ٢/ ١٨٠- ١٨١.

(٤) الآداب الشّرعيّة والمَنح المرعيّة لابن مفلح ٢٢١/١. وأبو جعفر هو الخليفة العبّاسيّ أبو جعفر المنصور: عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس (ت: ١٥٨ هـ).

الخاتمة

الحمد لله الّذي منّ بإتمام هذا البحث، وهذا بيان لأهمّ نتائجه الّتي توصّل إليها، ومنها:

١- أن التّرغيب في قراءة القرآن، هو ترغيب في قراءة تدبّريّة واعية، لا يُقصد منها الحصول على الثّواب والأجر فحسب، وإن كان الأجر والثّواب مطلباً سامياً، لكنّه ليس الغاية، وهذا ما كان عليه سلف الأمة، فكانوا يتعلّمون العشر آيات لا يتجاوزونها حتّى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل.

٢- فهم القرآن طريق وبوّابة للتّدبّر؛ إذ لا تدبّر دون فهم، ولا خَيْر في قِراءةٍ ليْس فيها تَدَبُّرٌ، وهذا الفهم تسبقه تلاوة صحيحة، سواء كانت من المصحف أو عن ظهر قلب.

٣- أهم الوسائل الموصلة إلى التّدبّر هي: فهْم النّصّ القرآنيّ، كما أنّ عدم فهم النّصّ القرآنيّ من أهمّ الموانع الصّارفة عن التّدبّر.

٤- ثمرة التدبّر وغايته أن يتحوّل الفهم والتّدبّر إلى التّطبيق والعمل.

٥- تدبر القرآن ليس صعبًا- كما يُتوهّم- كما أنّه ليس مختصًّا بالمفسّرين، فيمكن للمسلم الّذي يقرأ القرآن أن يتفاعل معه، وأن ينتفع بهداياته، والنّاس متفاوتون في ذلك.

٦- الإعراض عن فهمِ القرآن وتدبّرِه نوع من أنواع هجرانه.

٧- التّدبّر له آثار، أهمّها: زيادة العلم والإيمان، وحصول اليقين، والسّجود والبكاء من خشية الله، وزيادة الخشوع، والقشعريرة خوفًا من الله تعالى ثم غلبة الرّجاء والسّكينة، ومن آثاره أنّه من أسباب محبّة الله تعالى، وحياة القلب؛ إذ جعل مفتاح حياة القلب تدبّر القرآن.

ومن توصيات هذا البحث:

١- تفعيل القراءة التّدبريّة في الحلقات القرآنيّة، لتواكب التّلاوة والحفظ.

٢- تزويد المراكز القرآنيّة بخلاصات التّدبّر للسّور القرآنيّة، وخاصّة الأجزاء الثّلاثة الأخيرة الّتي يحفظها أغلب أبناء المسلمين.

٣- إدخال جانب التّدبر في مسابقات التّلاوة والحفظ.

٤- استمرار الأفكار الدّاعمة للتّدبّر مثل (جوّال التّدبّر)، وغير ذلك.

وفي الختام نسْألُ اللّهَ الكريمَ المنّانَ أنْ يَسْتعملَنا فيما يُرْضيه، من حِفْظ كتابه وفَهْمه وتدبّره، والقيامِ بِمُقْتضاهُ آناءَ اللّيْل وأطرافَ النّهارِ، على الوجْه الّذي يُحِبُّه ويرضاهُ، إنَّه كريمٌ وهَّاب.

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

المصادر والمراجع

٠١. **القرآن الكريم.**

٠٢. **الآداب الشّرعية والمِنَح المرعيّة،** محمّد بن مفلح بن محمّد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدّين المقدسيّ الرامينيّ الصّالحيّ الحنبليّ (ت: ٧٦٣ هـ).
عالم الكتب.

٠٣. **. الإتقان في علوم القرآن،** جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطيّ. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم.
الهيئة المصريّة العامّة للكتاب. القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٠٤. **. إحياء علوم الدّين،** أبو حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ الطّوسيّ (ت: ٥٠٥ هـ).
دار المعرفة، بيروت.

٠٥. **. الأذكار المنتخبة من كلام سيّد الأبرار صلّى الله عليه وسلّم،** يحيى بن شرف الدّين النّوويّ. [معه شرح وجيز مختصر من شرح ابن علّان].
المكتبة الثقافيّة، بيروت، ١٩٧٣م.

٠٦. **إرشاد النقّاد إلى تيسير الاجتهاد،** محمّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمّد الحسنيّ، الكحلانيّ الصّنعانيّ، أبو إبراهيم (ت: ١١٨٢هـ). تعليق: محمّد صبحي حسن حلّاق.
مؤسّسة الرّيّان، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٢م.

٠٧. **إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين،** محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق:: محمّد عبد السّلام إبراهيم.
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٠٨. **إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان،** محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوْزيّة (ت: ٧٥١ هـ). تحقيق: محمّد حامد الفقي.
بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٠٩. **الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر،** أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغداديّ الأمويّ القرشيّ المعروف بابن أبي الدّنيا (ت: ٢٨١ هـ). تحقيق: صلاح بن عايض الشّلّاحيّ.
مكتبة الغرباء الأثريّة، السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

١٠. **البُرهان في علوم القرآن،** بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزّركشيّ (ت: ٧٩٤ هـ). تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم.
دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ط١، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م.

١١. **تاج العروس من جواهر القاموس،** محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ) تحقيق: مجموعة من المحقّقين.
دار الهداية.

١٢. **التّبيان في آداب حمَلة القرآن،** يحيى بن شرَف الدّين النّوويّ أبو زكريّا. (ت: ٦٧٦هـ). حققه وعلق عليه:

محمد الحجار.
دار ابن حزم، بيروت، ط٣ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

١٣. **تدبّر القرآن بين النّظريّة والتّطبيق**، د. رقيّة طه جابر العلوانيّ.
مؤسّسة رأس الخيمة للقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٤. **التّعريفات**، عليّ بن محمّد بن عليّ الجرجانيّ (ت: ٨١٦ هـ). تحقيق إبراهيم الأبياري.
بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ .

١٥. **تفسير التّحرير والتّنوير= تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد بن عاشور التّونسيّ (ت: ١٣٩٣ هـ).
الدّار التّونسيّة، تونس، ١٩٨٤م.

١٦. **تفسير الجلالين**، جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلّي (ت: ٨٦٤ هـ) وجلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (ت: ٩١١ هـ).
دار الحديث، القاهرة، ط١.

١٧. **تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ الدّمشقيّ (ت: ٧٧٤ هـ). تحقيق: سامي بن محمّد سلامة.
دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.

١٨. **تهذيب اللّغة**، محمّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ). تحقيق: محمّد عوض مرعب.
دار إحياء التّراث العربيّ، ط١، ٢٠٠١م.

١٩. **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ بن عاصم النّمريّ القرطبيّ (ت: ٤٦٣ هـ). تحقيق: أبي الأشبال الزّهيريّ.
دار ابن الجوزيّ، الدّمّام، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٢٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن= تفسير الطّبريّ**، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطّبريّ (ت: ٣١٠ هـ). تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ بالتّعاون مع مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة بدار هجَر د. عبد السّند حسن يمامة.
دار هجر، ط١، ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م.

٢١. **الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي**، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيّش.
دار الكتب المصرية — القاهرة. ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢٢. **جمال القرّاء وكمال الإقراء**، عليّ بن محمّد بن عبد الصّمد الهمدانيّ المصريّ الشّافعيّ، أبو الحسن، علَم الدّين السّخاويّ (ت: ٦٤٣ هـ). تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة.
دار المأمون للتّراث، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

٢٣. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوْزيّة (ت: ٧٥١ هـ).

مطبعة المدنيّ، القاهرة.

٢٤. **درء تعارض العقل والنّقل**، تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّانيّ (ت: ٧٢٨ هـ). تحقيق محمّد رشاد سالم.
دار الكنوز الأدبيّة، الرّياض، ١٣٩١هـ .

٢٥. **ذمّ الدّنيا**، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغداديّ الأمويّ القرشيّ المعروف بابن أبي الدّنيا (ت: ٢٨١ هـ). تحقيق ودراسة: محمّد عبد القادر أحمد عطا.
مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٢٦. **ذمّ الملاهي**، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغداديّ الأمويّ القرشيّ المعروف بابن أبي الدّنيا (ت: ٢٨١ هـ). تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم.
مكتبة ابن تيميّة، القاهرة- مكتبة العلم، جدّة، ط١، ١٤١٦ هـ.

٢٧. **الذّيل على طبقات الحنابلة**، زين الدّين عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغداديّ، الدّمشقيّ، الحنبليّ (ت: ٧٩٥ هـ).
دار المعرفة، بيروت، [صورة عن ط المطبعة المحمّديّة بمصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م].

٢٨. . **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوْزيّة (ت: ٧٥١ هـ).
مؤسّسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلاميّة، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٢٩. **سنن التّرمذيّ**، محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحّاك، التّرمذيّ، أبو عيسى (ت: ٢٧٩ هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢). ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣). وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

٣٠. **سنن الدّارميّ= مسند الدّارميّ**، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرّحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصّمد الدّارميّ، التّميميّ السّمرقنديّ (ت: ٢٥٥ هـ). تحقيق: حسين سليم أسد الدّارانيّ.
دار المغني، ط١، ١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠ م.

٣١. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو الأزديّ السِّجِسْتانيّ (ت: ٢٧٥ هـ). تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد.
المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت.

٣٢. **السُّنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيْهقيّ (ت: ٤٥٨ هـ). تحقيق: محمّد عبد القادر عطا.
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٣٣. **السُّنن الكبرى**، أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ، النّسائيّ (ت: ٣٠٣ هـ). تحقيق: حسن عبد المنعم شلبيّ.
مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

٣٤. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ (ت: ٢٧٣ هـ). تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي.

دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.

٣٥. **شعَب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيْهقيّ (ت: ٤٥٨ هـ).
تحقيق: د. عبد العليّ عبد الحميد حامد.
مكتبة الرُّشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

٣٦. **صحيح البخاريّ= الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيّامه**، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البُخاريّ الجعْفيّ. تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر.
دار طوق النجاة. ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٧. **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، محمّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان بن معاذ بن مَعْبدَ، التّميميّ، أبو حاتم، الدّارميّ، البُستيّ (ت: ٣٥٤ هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٣٨. **صحيح مسلم= المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**، مسلم بن الحجّاج أبو الحسن القشيريّ النيسابوريّ (ت: ٢٦١ هـ). تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي.
دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.

٣٩. **طريق الهجرتين وباب السّعادتين**، محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوْزيّة (ت: ٧٥١ هـ). تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.
دار ابن القيّم، الدّمام، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤٠. **العقوبات**، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغداديّ الأمويّ القرشيّ المعروف بابن أبي الدّنيا (ت: ٢٨١ هـ). تحقيق: محمّد خير رمضان يوسف.
دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

٤١. **عونُ المعْبود شرح سُنن أبي داود**، محمّد أشرف بن أمير بن عليّ بن حيْدر، أبو عبد الرّحمن، شرف الحقّ، الصّدّيقيّ، العظيم آباديّ (ت: ١٣٢٩ هـ). [ومعه حاشية ابن القيّم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته].
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٤٢. . **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ**، أحمد بن عليّ بن حجر أبو الفضل العسقلانيّ الشّافعيّ (ت: ٨٥٢ هـ).
ترقيم: محمّد فؤاد عبد الباقي. تصحيح: محبّ الدّين الخطيب. تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٣. **الفروق اللّغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت: نحو ٣٩٥هـ).
القاهرة، مكتبة القدسيّ، ١٣٥٣هـ.

٤٤. **فيضُ القدير شرح الجامع الصّغير**، زين الدّين محمّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن عليّ بن زين العابدين الحدّاديّ المِناويّ القاهريّ (ت: ١٠٣١ هـ).
المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ.

٤٥. **قواعد التّدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ**، عبد الرّحمن حسن حبنّكة الميدانيّ (١٤٢٥ هـ).
دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤٦. **كتاب العين**، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ. تحقيق د. مهدي المخزوميّ ود. إبراهيم السّامرائيّ.
دار ومكتبة الهلال، بغداد.

٤٧. **الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسيّ (ت: ٢٣٥ هـ). تحقيق: كمال يوسف الحوت.
مكتبة الرّشد، الرّياض، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٤٨. **الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزّمخشريّ جار الله (ت: ٥٣٨ هـ). [معه: (الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف) لابن المنيّر الإسكندريّ (ت: ٦٨٣ هـ) وتخريج أحاديث الكشّاف للإمام الزّيلعيّ (ت: ٧٦٢ هـ)].
دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٤٩. **لسان العرب**، محمّد بن مكرم بن عليّ ابن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت: ٧١١ هـ).
دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٥٠. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، زين الدّين عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغداديّ، الدّمشقيّ، الحنبليّ (ت: ٧٩٥ هـ).
دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

٥١. **مباحث في علوم القرآن**، الدّكتور صبحي إبراهيم الصّالح (ت: ١٤٠٧ هـ).
بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٩٨٣م.

٥٢. **مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدّين عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيْثميّ (ت: ٨٠٧ هـ). تحقيق: حسام الدّين القدسيّ.
مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٥٣. **مجموع الفتاوى**، تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّانيّ (ت: ٧٢٨ هـ). تحقيق: عبدالرّحمن بن محمّد بن قاسم.
مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، المدينة المنوّرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥٤. **مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع**، ابن خالويه؛ الحسين بن أحمد بن حمدان. نشره: ج. برجشتراسر.
دار الهجرة، ١٩٣٤م.

٥٥. **مختصر قيام اللّيل وقيام رمضان وكتاب الوتر**، أبو عبد الله محمّد بن نصر بن الحجّاج المرْوَزِي (ت: ٢٩٤ هـ). اختصار: أحمد بن عليّ المقريزيّ.
فيصل اباد – باكستان، حديث أكادمي، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

٥٦. **مختصر منهاج القاصدين**، أحمد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن قدامة المقدسيّ الحنبليّ (ت: ٦٨٩ هـ). تحقيق: محمّد وهبي سليمان- عليّ عبد الحميد أبو الخير.
دار الخير، دمشق، ط٣، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

٥٧. **مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوْزيّة (ت: ٧٥١ هـ) تحقيق: محمّد المعتصم بالله البغداديّ.
دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

٥٨. **المستدرك على الصّحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضّبّيّ الطّهمانيّ النّيسابوريّ المعروف بابن البيّع (ت: ٤٠٥ هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. [ومعه التّلخيص للذّهبيّ].
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٥٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشّيبانيّ (ت: ٢٤١ هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين
مؤسّسة الرّسالة، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

٦٠. **مصباح الزّجاجة في زوائد ابن ماجه**، أبو العبّاس شهاب الدّين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيريّ الكنانيّ الشّافعيّ (ت: ٨٤٠ هـ). تحقيق: محمّد المنتقى الكشناويّ.
دار العربيّة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

٦١. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ**، أحمد بن محمّد بن عليّ المقّري الفيّوميّ، أبو العبّاس (ت: نحو ٧٧٠ هـ).
بيروت، المكتبة العلميّة.

٦٢. **المصنّف**، عبد الرزّاق بن همّام الصّنعانيّ. تحقيق الشّيخ عبد الرّحمن الأعظميّ.
المكتب الإسلاميّ، بيروت (من منشورات المجلس العلميّ- الهند) ط٢، ١٤٠٣هـ.

٦٣. **المطلع على ألفاظ المقنع**، محمّد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعليّ، أبو عبد الله، شمس الدّين (ت: ٧٠٩ هـ). تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب.
مكتبة السّوادي، جدّة، ط١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

٦٤. **معالم التّنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغويّ**، محيي السّنّة؛ أبو محمّد الحسين بن مسعود البغويّ (ت: ٥١٠ هـ). تحقيق: محمّد عبد الله النّمر- عثمان جمعة ضميريّة - سليمان مسلم الحرش.
دار طيبة، ط٤، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

٦٥. **معجم مقاييس اللّغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا. تحقيق عبد السّلام محمّد هارون.
دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٦. **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم.
مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦٧. **مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد شمس الدّين ابن قيّم الجوْزيّة (ت: ٧٥١ هـ).
دار الكتب العلميّة، بيروت.

٦٨. **مفردات ألفاظ القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهانيّ (ت: ٥٠٢ هـ). تحقيق صفوان عدنان

داوودي.
دمشق، دار القلم– بيروت، الدّار الشّاميّة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٦٩. **مفردات القرآن: نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنيّة**، عبد الحميد الفراهيّ الهنديّ (ت: ١٣٤٩ هـ).
تحقيق: د. محمّد أجمل أيّوب إصلاحي.
بيروت، دار الغرب الإسلاميّ، ط١، ٢٠٠٢م.

٧٠. **مقدّمة في أصول التّفسير**، تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّانيّ (ت: ٧٢٨ هـ).
بيروت، مؤسّسة الرّيّان، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٧١. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج**، أبو زكريّا محْيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ (ت: ٦٧٦ هـ).
دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ هـ.

٧٢. **الموافقات في أصول الشّريعة**، إبراهيم بن موسى اللّخميّ الغرناطيّ المالكيّ الشّهير بالشّاطبيّ (ت: ٧٩٠ هـ).
تحقيق: عبد الله دراز.
المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة.

٧٣. **الموطّأ**، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحيّ المدنيّ (ت: ١٧٩ هـ). تحقيق: محمّد مصطفى الأعظميّ.
مؤسّسة زايد بن سلطان آل نهيّان للأعمال الخيريّة والإنسانيّة، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

٧٤. **النّهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشّيبانيّ الجزريّ ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ). تحقيق طاهر أحمد الزّاوي ومحمود محمّد الطّناحي.
المكتبة العلميّة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٧٥. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عليّ الواحديّ، النّيسابوريّ، الشّافعيّ (ت: ٤٦٨ هـ). تحقيق وتعليق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشّيخ عليّ محمّد معوّض، د. أحمد محمّد صيرة، د. أحمد عبد الغنيّ الجمل، د. عبد الرّحمن عويس.
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدّمة	٢
المبحث الأوّل: مفهوم التّدبّر وأهميّته وآثاره وثمرته	٤
المبحث الثّاني: الوسائل الموصلة إلى التّدبّر	١١
المبحث الثّالث: الموانع الصّارفة عن التّدبّر	٢٢
خاتمة	٢٦
المصادر والمراجع	٢٧
فهرس الموضوعات	٣٤

* * *